مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٤

التحولات السياسية والفكرية في تونس والجزائر وليبيا من الحكم العثماني إلى الاحتلال الغربي

د.هادية صالح مشيخي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الشرقية، سلطنة عمان.

البريد الإلكتروني Email : hadya.mcheikhi@asu.edu.om

الكلمات المفتاحية: سياسة – فكر – تونس– الجزائر– ليبيا.

كيفية اقتباس البحث

مشيخي، هادية صالح ، التحولات السياسية والفكرية في تونس والجزائر وليبيا من الحكم العثماني إلى الاحتلال الغربي ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٤.

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Political and Intellectual Transformations in Tunisia, Algeria, and Libya from Ottoman Rule to Western Colonial Occupation

D.Hedia Saleh Mcheikhi
Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities-
A'Sharqiya University, Sultanate of Oman.

Keywords : Politics -Thought- Tunisia- Algeria- Libya.

How To Cite This Article
Mcheikhi, Hedia Saleh, Political and Intellectual Transformations in Tunisia, Algeria, and Libya from Ottoman Rule to Western Colonial Occupation,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2026,Volume:16,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

This research seeks to highlight the **political and intellectual transformations** experienced by the countries of the **Maghreb (Tunisia, Algeria, and Libya)** during the period of Ottoman rule and the subsequent Western colonialism that targeted them at the end of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century. For nearly three centuries, these regions were under the rule of the Ottoman Empire as dependent provinces (Eyalets), which protected them from Christian invasions within the context of the Islamic–Christian conflict in the Mediterranean basin.

However, the central Ottoman authority adopted a policy of marginalization toward these peripheral regions while benefiting from their resources. This situation led these regions to demand internal autonomy and the management of their affairs independently from the Ottoman Turks. Consequently, their relationship with the Ottoman

Empire became largely symbolic, represented mainly by the mention of the Ottoman Sultan in Friday sermons and the payment of annual taxes.
In Algeria, the country was ruled by the **Deys**, who were elected by the leaders of the Janissary army and were responsible for managing the political, military, and financial affairs of the state until Algeria fell under French colonial rule. A similar situation existed in Tunisia, where the Beys ruled alongside the Muradid dynasty until the country came under French colonial control. As for Tripoli (Tripolitania), it experienced numerous disturbances and revolts due to the oppression of the Janissaries, until power eventually passed to the Qaramanli family. Later, Italy invaded Libya in 1911.

Western colonialism pursued a repressive policy toward these societies, monopolizing their resources, impoverishing their populations, marginalizing their economies, and weakening their social structures by involving them in various wars. This situation had a significant impact on intellectual life, which varied from one country to another, and contributed to shaping new cultural features. Colonial authorities sought to erase the Arab-Islamic identity and promoted ignorance by eliminating traditional educational institutions such as **zawiyas** and **kuttabs**, which had long been responsible for teaching the Qur'an and the Arabic language. At the same time, they attempted to impose Western culture as an alternative. Nevertheless, the introduction of modern education later contributed to the revival of intellectual and cultural life in these countries at the beginning of the twentieth century.

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى إبراز التحولات السياسية والفكرية التي عرفتها أقطار المغرب العربي (تونس –الجزائر– ليبيا) أثناء الحكم العثماني والاستعمار الغربي الذي استهدفها آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فقد كانت هذه الأقطار طيلة ثلاثة قرون تحت حكم الدولة العثمانية (إيالات تابعة لها) التي كانت تحميها من الغزو المسيحي بسبب الصراع الإسلامي المسيحي في حوض البحر الأبيض المتوسط. وقد اتّبعت الدولة المركز سياسة التهميش تجاههذه الأطراف واستفادت من خيراتها، وهو ما دفع هذه الأخيرة إلى المطالبة بالاستقلال الداخلي وإدارة شؤونها بمعزل عن الأتراك، وأصبحت علاقتها بالدولة العثمانية علاقة رمزية تتمثل في الدعاء للسلطان العثماني على المنابروالضرائب التي تقدّمها سنويا.

حكم الجزائر الدايات حكم الجزائر الدايات الذين ينتخبون من قبل قادة الجيش الانكشاري ويتولون إدارة شؤون الدولة السياسية والعسكرية والمالية إلى أن دخلت تحت الاستعمار

الفرنسي، والأمر نفسه في تونس إضافة إلى حكم البايات مع الدولة المرادية إلى أن استعمرتها فرنسا. أما طرابلس الغرب فقد عرفت اضطرابات وثورات عديدة بسبب ظلم الانكشاريين إلى أن آل الحكم إلى العائلة القرمانلية، ثم غزتها إيطاليا سنة ١٩١١. وقد مارس الاستعمار الغربي سياسة قمعية تجاه هذه الشعوب واستأثر بكل خيراتها وعمل على تفقيرها وتهميش اقتصادها وإضعاف أطولها من خلال تشريكها في الحروب. أثّر هذا الوضع في الحياة الفكرية التي تفاوتت من قطر إلى آخر، وساهم في رسم ملامح ثقافية جديدة، فقد سعى الاستعمار إلى طمس الهوية العربية الإسلامية وعمل على تركيز الجهل من خلال القضاء على المؤسسات التعليمية التقليدية كالزوايا والكتاتيب التي كانت تعلم القرآن واللغة العربية، وتكريس الثقافة الغربية كبديل لها، وإدخال التعليم العصري الذي استفادت منه هذه الأقطار في انعاش الحياة الفكرية والثقافية في بداية القرن العشرين.

مقدمة: عرفت أقطار المغرب الثلاث تحولات أثناء الحكم العثماني (كانت ولايات عثمانية) والاستعمار الغربي (فرنسا وإيطاليا)، وقد كان للسياسات المتعاقبة عليها تأثير في الوضع العام من مجتمع وسياسة داخلية واقتصاد وثقافة وفكر، وجعل لكل قطر ملامح تميزه وخصائص يتفرد بها عن غيره. وسنحاول من خلال هذا البحث رصد الملامح السياسية لكل منها وإبراز تأثيرها في الحياة الفكرية والثقافية في الأقطار الثلاثة. وإن تصوّر الموضوع على هذا النحو فرض علينا تقسيم البحث إلى قسمين، تعلق الأول بالتحولات السياسية في تونس والجزائر وليبيا واهتم القسم الثاني بدراسة التغيرات الحياة الفكرية والثقافية لهذه الأقطار والتي كانت نتاجا مباشرا للتطور في الحدث السياسي. وقد اعتمدنا المنهج التاريخي وعدنا إلى المصادر الأساسية لتاريخ هذة الأقطار منها ما هو مخطوط (كتاب الفوائد الجمة في منتخبات الأمة) وما هو مطبوع مثل كتابات حسن حسني عبد الوهاب، وشوقي عطا الله الجمل، وكورو فرانشسكو، وأبو القاسم سعد الله، إضافة إلى قائمة مراجع عربية وأجنبية تهتم بالموضوع.

1-التحولات السياسية في تونس والجزائر وليبيا

أصبحت الجزائر وتونس وطرابلس الغرب تحت النفوذ العثماني منذ القرن السادس عشر. فقد اشتدت غارات الإسبان خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر وتكثفت هجماتها على مدن وموانئ الشمال الإفريقي من طنجة غربا إلى طرابلس الغرب شرقا[1]. وعجز السكان على ردّ هذه الهجمات بسبب ضعف إمكانياتهم مقارنة بالأسطول الإسباني وهو ما دفعهم إلى الاستنجاد بالعثمانيين الذين كانوا يحكمون باسم الإسلام، وتبنُّوا مشروع مقاومة السياسة الاستعمارية وصد الهجوم المسيحي الذي استهدف الدول الإسلامية في تلك الفترة. فألحقت الجزائر بالدولة العثمانية سنة

١٥١٨[٢] بطلب من سكانها ووقع تنظيمها على الطراز العثماني وقسّموها إلى أربع صناجق، كما انتهجت الدولة سياسة مكنّتها من إدارة ولايتها بأسلوب يعود عليها بأوفر الكسب ولا يكلّفها إلاّ الأقلّ.[٣] كما ألحقت تونس رسميّا بالدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر سنة ١٥٧٤ عندما انتصر سنان باشا على الإسبان وقضى نهائيا على الحكم الحفصي وأصبحت إيالة تابعة للباب العالي في اسطنبول.[٤] أما طرابلس الغرب فقد استنجدت سنة ١٥٥١ م بالدولة العثمانية التي تعدّ القوة الناهضة في ذلك الوقت ضد أعداء المسلمين الإسبان الذين نجحوا في الاستيلاء على مينائها واتخذوه قاعدة لعملياتهم الحربية في البحر الأبيض المتوسط لمدة عشرين عاما ثم تنازلوا عليها لفرسان القديس يوحنا في مالطا.[٥]

إنّ دخول الأتراك لم يكن تدخّلا عسكريا أو تدخلا مباشرا من حكومة الآستانة كما حدث في مصر بل كان نتيجة اشتداد الصراع بين الإسلام والمسيحية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن السادس عشر.[٦] لتكون الدولة العثمانية المخلّص من العدوّ المسيحي، وقد تمكّنت من صدّ الهجوم الإسباني وجعل شمال إفريقيا تحت لوائها.

يقول يحيى بوعزيز: "أما الأتراك فهم إخوان في الدين جاؤوا إلى الجزائر وكلّ بلدان الشمال الإفريقي بطلب من السكان لينجدوهم ويردّوا عنهم وعن بلدانهم الغارات والهجومات الأوروبية الشرسة والمكثفة وأدّوا هذا الدّور بكل جدارة"[٧].

وقد جذب الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض المتوسطي عددا من البحارة المغامرين الذين نشأوا في خدمة أسطول الدولة العثمانية، ثم راحوا يكوّنون أساطيل صغيرة تعمل لحسابهم الخاص وتجاهد ضد أعداء الدين. إلاّ أنّ السياسة التي اتّبعتها الدولة العثمانية تجاه أقطار بلاد المغرب والتي مكّنتها من الاستفادة من خيراتها قد أضرّت بها لأنّها لم تحظ بالاهتمام الذي وُجّه إلى أقطار المشرق العربي نظرا إلى بعدها عن مركز الدولة. فقد مثلت هذه الأقطار، منذ أن أصبحت إيالة عثمانية، جناحا للدولة الأم ولم تكن القلب النابض لها مثلما هو حال أقطار المشرق، وهو ما دفع تونس والجزائر إلى المطالبة بالاستقلال الداخلي وإدارة الشؤون الداخلية بمعزل عن الأتراك رغم اعتماد كلّ منهما التنظيمات الإدارية العثمانية. وبقيت العلاقة بالدولة العثمانية علاقة رمزية لأن الباشوات قد أرسوا بها جملة من المؤسسات السياسية والعسكرية والقضائية ومجموعة من الرموز السياسية والايديولوجية التي تؤمّن تبعية الإيالتين للباب العالي مثل الدّعاء للسلطان العثماني فوق المنابر عند خطبة صلاة الجمعة باعتباره خليفة المسلمين وذكر اسم السلطان على السّكة ورفع الرايات العثمانية[٨].

أصبح الحكم في الجزائر وتونس شبه مستقّل، فكانت الجزائر وتونس تحت حكم الدايات. ففي

الجزائر استولى رؤساء البحرية الذين كانوا يملكون السلطة الحقيقية في المنطقة على الحكم ونصّبوا واحدا منهم واليا على البلاد يلقّب بـ"الدّاي" وتبقى السلطة بيده مدى الحياة. وقد عمل الدّاي على الاحتفاظ بالسلطة والنفوذ الفعليين في المشاكل الداخلية وفي السياسة الخارجية، وهو ما اضطر الدولة العليّة إلى الكفّ عن إرسال الباشوات وصارت تكتفي بإرسال الخلع للدّاي وتلقبه بلقب "باشا باعتباره ممثلا لسلطتها في هذه الجهات.[٩] وكانت تحت حكم عثمان داي (١٥٩٨-١٦١٠م) ثم يوسف داي (١٦١٠-١٦٣٧م) ثم إسطا مراد (١٦٣٧-١٦٤٠م) بعد أن أجمع الباشا وكبراء العسكر على تقديم أحد الدّايات للنظر في شؤون الانكشارية وحفظ السلام في مدينة تونس بعد ثورة صغار الجند على رؤساء الدّيوان والفتك بهم[١٠]. وقد تميّزت فترة الدّايات بالاهتمام بالرعايا وسَنّ قوانين المساواة بينهم وعمارة البلاد خاصة بالجالية الأندلسية. ولئن انتقلت السلطة من الدايات إلى البايات مع الدولة المرادية (١٦٣١-١٧٠٥م) والدولة الحسينية (١٧٠٥-١٨٨١م) في تونس، فإنّ السلطة في الجزائر بقيت في أيدي الدايات إلى أن دخلت فعليا تحت الاستعمار الفرنسي سنة ١٨٣٠م.

رغم الاستقلال النسبي عن دولة الخلافة إلاّ أنّ الأقطار الثلاثة بقيت تربطهم بها علاقات متينة، فقد كانت الجزائر، على سبيل المثال، تقدّم مساعدات للدولة العثمانية خاصة في حروبها وهو ما يُؤكّد العلاقة الروحية التي كانت تربط الجزائريين والتونسيين والطرابلسيين بدولة الخلافة وينسحب الأمر نفسه على بقية الأقطار الإسلامية التي لا يمكن أن تعترف بالسلطة أو الدولة في ظلّ غياب الخلافة الإسلامية. وقد شاركت الجزائر في معارك الدولة العثمانية في شرق البحر المتوسط وغربه طوال قرون العصر الحديث مثل معركة "مالطة" عامي ١٥٤٦م و١٥٦٥م و"طرابلس" عام ١٥٥١م و"جربة" عامي ١٥٥١م و١٥٦٠م و"ليبانتو" سنة ١٥٧١م و"تونس" و"حلق الوادي" عامي ١٥٦٩م و١٥٧٤م[١١].

والأمر نفسه نجده في تونس حيث قدّمت مساعدات لتركيا في حرب "القرم" والتي انتهت بانتصارها. فقد "جهّز أحمد باي[١٢] جيشا من تونس يتركّب من ١٤,٠٠٠ جنديا بسائر ما يلزمه من المهمّات الحربية وسيره إلى الآستانة بقيادة أمير الأمراء رشيد [خريج المدرسة الحربية بباردو] فشارك هذا الجيش في الحرب مشاركة فعلية خلّدت له بين المحاربين ذكرا جميلا لما أظهره من البسالة والتجلّد مع الانضباط والانقياد"[١٣].

أما طرابلس الغرب (ليبيا) فقد استقرت فيها الأحوال خلال الخمسين سنة الأولى وتمكّن أهل البلاد من مواصلة نشاطهم التقليدي الذي يقوم أغلبه على رعي الغنم وأقلّه على التجارة بالبرّ والبحر لكن الوضع

تدهور فيما بعد بسبب ظلم الإنكشاريين إلى أن آل الحكم إلى العائلة القرمانلية من سنة ١٧١١م إلى سنة ١٨٣٥م لتعود من جديد إلى حكم الأتراك.

تولى شؤون طرابلس الغرب في الفترة الفاصلة بين ١٨٣٥م و ١٩١١م ثلاثة وثلاثون واليا وهو ما ساهم في تأخرها مقارنة ببقية الأقطار، لأنّ الاضطراب السياسي حال دون تحقيق المشروعات العمرانية والاقتصادية المطلوبة والولاّة الذين تداولوا على الحكم لم تتجاوز فترة حكمهم عدة أشهر قضّوا أغلبها في محاولة إخماد الثورات دون تحقيق أي مشروع تحديثي في المنطقة[١٤].

هذه المساعدات التي يقدمها بلدان المغرب العربي تؤكد الولاء التام للدولة العثمانية التي كانت تمثل السلطة المركزية وفي نفس الوقت الدولة الحامية للدين الإسلامي، لهذا السبب كانت هذه الولايات العثمانية (الإيالات) تقدم لها كل الإمدادات في الحروب دون تردد إضافة إلى الضرائب التي تسلطها عليهم.

هذا الاستنزاف لخيرات هذه الأقطار خاصة أثناء الحروب أضعفها، إضافة إلى إهمال الدولة العثمانية لها، وتُجمع الدراسات التاريخية المهتمة بتاريخ بلاد المغرب على تدهور الوضع السياسي لأقطارها في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فقد اتّسم الوضع بالضعف في مستوى الإدارة والتجهيزات، وكانت تفتقر إلى المعدّات الحربية وتعاني من هشاشة أسطولها العسكري مقارنة بالقوى العظمى.

وتشترك عوامل عديدة في هذا الضعف نذكر منها بُعد هذه الأقطار عن مركز الخلافة وهو ما جعل اهتمام الدولة العثمانية بها ضئيلا، باعتبارها تمثّل الأطراف، مقارنة بأقطار المشرق التي تمثل القلب النابض لها. إضافة إلى استقلالها الداخلي وضعف مواردها وإثقال كاهلها بالضرائب واضطرارها إلى تقديم المساعدات إلى الدولة–المركز كلّما شاركت في حرب والهدايا الثمينة في المناسبات الرسمية ساهم بشكل كبير في تردي أحوالها.

إنّ ضعف هذه الأقطار وهشاشة بنيتها الاقتصادية وكثرة مواردها الطبيعية غير المستغَلّة وموقعها الجغرافي المميّز جعلها محلّ أطماع الأقطار العظمى وسهّل دخول فرنسا في ثلاثينات القرن التاسع عشر إلى الجزائر ثم تركيز نظام الحماية في تونس واحتلال إيطاليا لطرابلس الغرب.

ونحن نوافق شوقي عطا الله الجمل فيما ذهب إليه من أنّ دوافع احتلال الجزائر لم تكن الإهانة التي لحقت في ٢٩ أفريل ١٨٢٧م بقنصل فرنسا في الجزائر بيير ديفال (Pierre Deval)، لأنّ فرنسا لن تصرف أموالا طائلة على تجهيز جيش من أجل ضربة مروحة. وإنما توجد دوافع أخرى نفهمها من خلال العلاقات بين الدول الكبرى المتصلة بمنطقة البحر المتوسط والظروف التي

كانت تحيط بهذه الدول وفي مقدّمتها انقلترا وفرنسا وروسيا والنمسا والدولة العثمانية، علاوة على أنّ البابوية كانت تزجّ بنفسها في كل نزاع بين دولة مسيحية (كاثوليكية بالذات) ودولة إسلامية[١٥].

تجنّبا لأي معارضة دولية تثيرها انجلترا ضد الحملة، بعثت فرنسا بمذكرة إلى جميع الدول تخبرها بعزمها على غزو الجزائر لحماية الدول المسيحية من القرصنة والاسترقاق لأن فرنسا كانت أكثر الدول التي تعاني بحريا من القرصنة الجزائرية، وكان الأسرى الأوروبيون يُباعون بالآلاف في أسواق النخاسة وكانت الدولة العثمانية عاجزة عن حماية أصدقائها الأوروبيين من القرصنة الجزائرية لأن سلطة الدّايات أصبحت شبه متحرّرة[١٦].

كانت القرصنة البحرية تثير قلق أوروبا وتزيد من مخاوفها. وقد ناقش مؤتمر "فيينا" سنة ١٨١٥م مسألة تأمين المواصلات البحرية والتجارة في المتوسط وكذلك مؤتمر "لندن" عام ١٨١٦م ومؤتمر "إيكس لاشابيل" (Aix La Chapelle) سنة ١٨١٨، كما أسّست جمعيات مثل جمعية محاربة القرصنة التي أسّسها سيدني سميث (Sedney Smith).

لكن السبب الرئيسي للحملة الفرنسية لم يكن حماية السفن الأوروبية من القرصنة وإنمّا توجد أسباب أخرى منها:

أوّلا: التمركز في منطقة البحر المتوسط والتوسّع أسوة بكُبريات دول أوروبا لاسيما انقلترا، وقد كان التنافس الدولي على المنطقة شديدا.

ثانيا: إيجاد أسواق جديدة خاصة أن فرنسا قد عرفت وفرة في الإنتاج بسبب تطوّر صناعتها الذي يتطلّب توفير المواد الأوّليّة. ثم إنّ إيجاد مستعمرات سيُمكّن من التزوّد بالمواد الأولية بأقلّ كلفة ويُوفّر أسواقا لترويج إنتاجها.

ثالثا: تراجع قوة الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر بسبب الحروب التي خاضتها ومِنْ ثمّة فهي عاجزة عن مساعدة هذا القطر البعيد التابع لها.

نتيجة لهذه الأسباب مجتمعة، كانت الجزائر مطمعا فرنسيا لأنّ السيطرة على الجزائر تُسهّل السيطرة على جارتيْها تونس والمغرب لما تتميّزان به من ضعف وهو ما ضاعف أطماع فرنسا التوسّعية.

أمّا تونس التي كانت تحت حكم حسين باشا أثناء احتلال الجزائر وتشهد احتلال العثمانيين لطرابلس فقد عرفت حالة خوف من أن تدخل تحت حكم الأتراك من جديد خاصة بعد تحذيرات فرنسا من السياسة العثمانية. لكن هذه المخاوف زالت بمجرد أن عرضت تولّي باي تونس حكم طرابلس سنة ١٨٣٧م، في حين بقيت فرنسا التي عملت سياستها على إبقاء تونس جارة ضعيفة للجزائر الخطر

الأكبر. كما أظهرت إيطاليا نواياها التوسعية في تونس التي كانت أكثر إغراء للإيطاليين نظرا إلى موقعها الجغرافي وامتدادها التاريخي إذ كانت من أهم أقاليم الدولة الرومانية القديمة ومن ثمة فهم يرون أحقيتهم في التوسع على حسابها. كما كان الايطاليون يكوّنون الجالية أوروبية الأكبر في تونس ويتمتّعون بأكثر الامتيازات من خلال المعاهدات التي أبرمتها مع الدولة العثمانية[١٧].

وقد انتهزت فرصة هزيمة فرنسا سنة ١٨٧١م لضمّ تونس، لكن انقلترا عرقلت مشروعها حتى لا تتمكّن إيطاليا من السيطرة على شاطئيْ المتوسط المتقابلين عند الممرّ الضيق.[١٨]

بسبب الصّراع الدولي على تونس، طلب خير الدين باشا من الباي تنظيم علاقة تونس بالدولة العثمانية، وقد صدر فرمان في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٧١م ينصّ على إعلان الباي حاكما عاما لولاية تونس ويترك له مهمة الإشراف على العلاقات الخارجية باستثناء الأمور المتعلقة بالسياسة الدولية والعسكرية وتعديل الحدود[١٩].

لكن ماهو ثابت تاريخيا أنّ تونس قد عرفت في تلك الفترة تطورا مقارنة بجارتيها ليبيا والجزائر، فقد تميّز حكم الصادق باي بتطبيق قانون عهد الأمان الذي يُعّد نظاما يقضي بالمساواة في الحقوق ويكفل احترام الأشخاص. وقد أفضى هذا القانون إلى إنشاء مجالس أهلية لفصل القضايا بين الخصوم على مقتضى قوانين جنائية، وكوّن مجلسا أكبر يتألف من ستّين عضوا للنظر في شؤون البلاد والشورى في المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.[٢٠]

ولئن عرفت تونس أثناء وزارة خير الدين انتعاشا بفضل ما قدّمه من إصلاحات، فإن الوضع تأزم فترة وزارة مصطفى بن إسماعيل الذي ترأس الوزارة الكبرى والكومسيون المالي، إذ عادت الفوضى والرّشوة إلى الإدارة التونسية وعرفت البلاد عمليات النهب والسرقة وأهمل كلّ ما أنشأه خير الدين من نظم ومؤسسات[٢١].

سهّل الوضع المتأزم انتصاب الحماية الفرنسية بتونس بعد أن شجعت انجلترا فرنسا في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٧م حتى تصرف أنظارها عن الألزاس والورين[٢٢].

ويعود تاريخ فرنسا الاستعماري في بلاد المغرب إلى بداية القرن السادس عشر إذ كوّنت لنفسها امبراطورية استعمارية كبيرة[٢٣]. وقد أفل نجمها سنة ١٧٦٣م حين أُجبِرت فرنسا على التخلّي لأنقلترا عن كندا والهند. ثم تلاشت هذه الامبراطورية إثر استيلاء الأسطول البريطاني عليها أثناء حروب نابليون الأول ومعاهدة صلح باريس التي عقدت في ٣٠ مايو سنة ١٨١٤م.[٢٤]

وإذا قمنا بدراسة دوافع الاحتلال الفرنسي للجزائر التي تُعدّ أقدم قطر مغربي دخله الفرنسيون نربطه بعاملين: تعلّق الأول بظروف فرنسا الداخلية المتمثلة في الصراع بين الملك وأنصاره من

جهة، والليبراليين والمعارضة من جهة أخرى وضرورة توجيه أنظار الرأي العام إلى قضايا خارجية. والثاني علاقات فرنسا الدولية والتنافس الدولي على البحر الأبيض المتوسط ذلك الشريان الحيوي للملاحة الذي شهدت شواطئه وموانيه صراعات مريرة في عصور التاريخ المختلفة قديمها ووسيطها وحديثها.[٢٥] ومن ثمة فإ نّ الإهانة التي التي لحقت في ٢٩ أفريل ١٨٢٨ بقنصل فرنسا في الجزائر بيير ديفال (Pierre Deval) ليست السبب الرئيسي للحملة التي وُجهت إلى الجزائر[٢٦].

تبنّى عمار حمداني الموقف نفسه، فقد درس عوامل دخول الجزائر في ضوء المشهد السياسي العالمي والتّنافسات الدولية واعتبر أن التّنافس الاستعماري بين فرنسا وانقلترا السبب الحقيقي للسيطرة على الجزائر.[٢٧] إضافة إلى أهميّة الجزائر الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية بالنّسبة إلى القارة الأوروبية التي جعلت فرنسا تستولي عليها قصد تدعيم مركزها في البحر المتوسط[٢٨].

كما كانت أوروبا الأكثر تضرّرا من القرصنة التي تعتمدها الجزائر، وقد ناقش مؤتمر فينا (١٨١٥) هذه المسألة وطالب الأميرال سيدني سميث قائد الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط باتّخاذ إجراءات حازمة ضد أعمال القرصنة التي تقوم بها الدول الإسلامية في شمال إفريقيا[٢٩]. وخضعت الجزائر للشروط التي قدّمها المؤتمر سنة ١٨١٦ لإيقاف حرب القرصنة. [٣٠]

أما دافع الحملة الثّاني فيتعلّق بتوتّر العلاقة بين داي الجزائر وقنصل فرنسا ديفال بسبب ديون حبوب التاجرين اليهوديين بوشناق (Bushnach) وبكري (Bacri) التي لم يتم تسديدها[٣١]، ومطالبة التّعويض عن الأضرار التي لحقت ببعض السفن الفرنسية والبابوية التي اشتبكت مع بعض السفن الجزائرية[٣٢].

ودخلت فرنسا الجزائر بإنزال جيوشها على ساحل سيدي فرج في ١٤ جوان ١٨٣٠م[٣٣]. بعد مصادقة الملك شارل العاشر وولي العهد في ٧ فيفري من السنة نفسها[٣٤].

أما

فيما يتعلّق بأطماع فرنسا بالقطر التونسي فإنّ الأسباب كثيرة. وقد بيّن علي المحجوبي أهمية تونس الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي كانت تثير مطامع القوى الأوروبية أمثال فرنسا وإيطاليا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فهي لا تبعد سوى ١٤٠ كم عن صقلية التي تكوّن معها المضيق الفاصل بين حوضي البحر الأبيض المتوسط واحتلالها يشكل أهمية بالغة إذ يسمح بمراقبة طريق العبور بين غرب هذا البحر وشرقه، مما يسهل مراقبة التجارة المتوسطية بل يسمح أيضا بمراقبة تجارة الشرق الأقصى وهو ما صار ممكنا بعد فتح قناة

السويس وانتقال طريق الهند. كما مثل مرفأ بنزرت قاعدة بحرية من الصنف الأول في البحر الأبيض المتوسط وهمزة وصل بين الشرق والغرب يسمح بتمويل البواخر بالوقود ويمكّن أنقلترا من حماية طريق الهند خاصة أن هذا الطريق صار يمرّ بالبحر الأبيض المتوسط منذ فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩[٣٥].

واعتبر عبد الكريم غلاب احتلال الجزائر بداية التفكير في مشروع استعماري أكبر يضم شمال إفريقيا[٣٦]. وتمكّنت فرنسا بعد أن وضعت أقدامها على الجزائر من الدخول إلى تونس تحت نظام الحماية سنة ١٨٨١م ثم المغرب الأقصى سنة ١٩٢٢م.

عمّقت فرنسا حالة التّخلّف التي كانت تُعانيها مستعمراتها رغم التجارب السياسية[٣٧] التي طبّقتها، فاستأثرت بالثروات الطبيعية واستغلت الأراضي الفلاحية وانتهجت سياسة التهميش تُجاه السّكان بتمييز المُعمِّرين الأوُرُوبيين عنهم.

كما أثارت سياستها الجائرة غضب سكان بلاد المغرب، فقد عبّرت الطبقة السياسية والمثقّفة عن هذا الغضب بما كُتب في الصحافة والمطالب المُوجّهة إلى الحكومة والدّاعية إلى وقف السياسية التعسفية ضدّ السكان والاحتجاجات الشعبية التي كانت تُعارض كلّ أشكال القمع المسلّطة على الشعب المُستعمَر.

حاولنا أن نُبيّن من خلال ما تقدّم ذكره أنّ أقطار المغرب العربي الثلاثة قد عرفت تحوّلا على المستوى السياسي تميّز أساسا بدخولها تحت السيطرة الغربية إذ عمل الاستعمار الفرنسي والإيطالي على وضع أقدامهما في هذه الأراضي واستغلال خيراتها.

فهل صاحبت التحوّلات السياسية تحولات فكرية لامست حياة المغاربة وأثرت في ثقافتهم؟

١-الحياة الفكرية والثقافية في تونس والجزائر وليبيا

مَثَّلَ احتلال فرنسا الجزائر واحتكاك العرب بالثقافة الغربية منعرجا حاسما وعاملا أساسيا في تطور الحياة الفكرية في بلاد المغرب إذ رافق النفوذ السياسي والعسكري الغربي تحوّلا فكريا وغزوا ثقافيا تمظهرا في الحياة اليومية، وأصبحت التشكيلات العربية والسلطات الملكية في لباسها ونظامها وآلاتها ومصطلحاتها ذات مظهر غربي مخالف لمظهرها الشرقي القديم رغم أن محمد الفاضل بن عاشور رأى أنّ الحركة الفكرية في تونس مثلا قد وجُدت قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر وأنّ فرنسا لم تحدث تيارا فكريا جديدا فيها بل "نزل على تيار كان سيله مندفعا من قبل فأدخل عليه طورا جديدا في حركته ومجراه"[٣٨].

لكنّه في المقابل، لا ينكر تجلّيات الغزو الفكري– الثقافي الغربي الذي رافق الاستعمار السياسي والاستفادة من تطوّر المصنوعات الأوروبية وظهور الاختراعات خاصة أن الجاليات الأوروبية التي استقرت بتونس قد تميّزت بتفوّقها في العلوم الطبيعية وسبقها في ميدان الحياة العلمية، فكانت أغلبها تمتهن الطب والصيدلة والهندسة.[٣٩]

يعود الفضل في نشاط الحركة الفكرية خاصة من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى ستينات القرن العشرين (١٨٧٠–١٩٦٠م) إلى حالة الاستقرار السياسي التي عرفتها تونس بداية حكم أحمد باي الذي خلف حسين باشا ومصطفى باشا إذ يصعب الحديث عن حياة فكرية في غياب الاستقرار السياسي الذي يساهم في تطور العلوم والمعرفة والاعتناء بالحياة الفكرية. عمل هذا الباي على تنظيم دولته وِفق النظام الأوروبي خاصة فيما يتعلّق بالجيش نظرا لتربيته العسكرية وأنشأ مدرسة عسكرية لتخريج الضباط الفنّيين والمهندسين والموظفين "مكتب المهندسين" أو "مكتب العلوم البحرية" استدعى لإدارتها ضابطا إيطاليا من المستشرقين وجلب إليها أساتذة إيطاليين وأنقليز وفرنسيين لتدريس الرياضيات والتاريخ والجغرافيا واللّغات[٤٠].

كوّن محمد قابادو هذا المذهب الفكري الجديد الذي ساد في الحياة العقلية وتطوّرت به الحياة الأدبية[٤١] فقد كان الرجل يؤمن بضرورة كسب المعرفة والعلوم لأن العلوم كانت مزدهرة ومتقدّمة عند المسلمين، وأن نهضتهم اليوم لا يمكن أن تكون خارج إطار العلم والمعرفة. ومن ثمّة فهو يشرّع الأخذ عن الغرب والاستفادة من العلوم التي اقتبسوها ووظّفوها وتصدّروا بها العالم حتى يتمكّن العرب من اللّحاق بركب الحضارة الغربية والنهوض بواقعهم المتخلّف. يقول محمد الفاضل بن عاشور: "كان المسلمون، لمّا كانت هذه العلوم عندهم رائجة فيهم، سائرين متقدّمين. ثم أُضيعت هذه العلوم وتأخرت فهان المسلمون وتأخّروا تبعا لذلك واقتبست أوروبا وأخذت هي، فلا سبيل حينئذ إلى أخذ الإسلام بحظّه من السّعادة والنّهضة إلاّ باستعادة نهضة هذه العلوم التي أضاعها ولا سبيل إلى ذلك إلاّ باقتباسها عن الأوروبيين بالنّقل والتعلّم"[٤٢].

أثّر فكر قابادو في الوسط الزيتوني وفي الكليّة الحربية ونتج عن هذا التأثّر تكوين حزب قائم على أساس نظري في الإصلاح العلمي والاجتماعي والسياسي والإداري مراهنا على تطوير المجتمع التونسي تحت إشراف رجالات الدولة مثل خير الدين التونسي والوزير المؤرخ أحمد بن أبي الضياف والوزير مصطفى آغة. وقد أقبل التونسيون على مطالعة ما ظهر من آثار كتب الشرقيين الذين سبقوا إلى التعرف إلى الحياة الغربية ودعوا إلى الاقتداء بنُظُمِها.

لم يقتصر التونسيون على قراءة ما كُتب حول الحضارة الغربية وإنما سافروا إلى دولها ليحتكّوا بها مباشرة، وقد دوّن أحمد بن أبي الضياف رحلته إلى فرنسا وتحدّث عن العمران ورقيّ الأخلاق وازدهار الاقتصاد والارتباط الوثيق بين النّهضة الفكرية والعلميّة. وتتالت فيما بعد الرحلات إلى أوروبا ولم تقتصر على المصلحين فقط، وإنّما ضمّت "أفرادا من أمراء البيت المالك ورجالا من الوزراء والقوّاد منهم زعيم العصابة الإصلاحية خير الدّين وعضده حسين."[٤٣]

ازدادت الحياة الفكرية نشاطا فترة حكم الصادق باي الذي بدأ عهد ولايته بالإنجازات الداعمة لفكرة التطوّر فقام بمدّ سلك البرق بين تونس وأوروبا عن طريق الجزائر وتأسيس المطبعة الرسمية وجريدة الرائد التونسي وانتصاب المجلس التشريعي والمجالس البلدية سنة ١٨٦١م[٤٤].

توثّقت علاقات الإيالة التونسية بالدول الأوروبية منذ أن تولّى خير الدين الوزارة الكبرى سنة ١٨٧٣م خلفا لمصطفى خزندار وأبرم المعاهدات بما يوافق مصالح الطرفين وأحدث مؤسسات قضائية وصحيّة ودينية ونَظّم القطاع الفلاحي بإعادة تقسيم الأراضي الفلاحية على صغار الفلاحين وترغيبهم في غراسة الزياتين والنخيل وتخفيض الجباية. كما عمل على نشر التعليم وأسّس المدرسة الصادقية سنة ١٨٧٥ ورصد الأوقاف ذات الإرادات الوافرة عليها، ويُعدّ المعهد الصادقي أوّل معهد تونسي فيه العلوم العصرية بعد المدرسة الحربية بباردو وقد جلب لها مدرّسين من فرنسا وتركيا وإيطاليا مع المعدّات اللاّزمة لدارسة الجغرافيا والكيمياء الطبيعية وسائر العلوم الرياضية. كما قام بترتيب برامج التعليم بجامع الزيتونة ١٨٧٦م وإنشاء المكتبة الصادقية الملاصقة للجامع الأعظم وسعى من ناحية أخرى إلى إحياء الصناعات التقليدية وتطوير التجارة الوطنية بوسائل مختلفة ومسالك عديدة[٤٥]. وقد بيّن عبد الرزاق الحمامي مساهمة المثقّفين التونسيين في إثراء الحياة الفكرية من خلال ما اتّصفوا به من تسامح وتفتّح ووعي لأنّهم سعوا إلى أن يكون الدين مساعدا على التقدّم والرّقي واللّحاق بركب الحضارة[٤٦].

كما اقترن الفكر بالعمل السياسي في تونس في بداية القرن العشرين فكانت الطبقة المفكِّرة هي التي تمارس العمل السياسي وتقوده في عقود القرن العشرين الأولى، فكان علماء الزيتونة والمحامون والأطباء يترأسون العمل السياسي نذكر منهم عبد العزيز الثعالبي و محمود الماطري. أما الجزائر فقد كان وضعها مختلفا مقارنة بتونس، فقد اعتبر أبو القاسم سعد الله أنّ الجزائر قد اتسمت بالركود الفكري والثقافي طوال العهد العثماني فلم تعرف حركات تجديدية فكرية ولا انتفاضات علمية ذاتية أو متأثرة بالحضارة الغربية[٤٧].

اقتصر التعليم الذي كان منتشرا في كل المدن الجزائرية وحرا من سيطرة الدولة على الموضوعات الدينية والتعليمية والأدب. وكان سكان القرى ينظّمون بطرقهم الخاصة تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية لأنّ دراسة هذه العلوم هي السبيل إلى معرفة أسرار الدّين والقرآن والسّنة وفهمها، وكان القرآن أساس التّعليم في مراحله الثلاث الابتدائي والثانوي والعالي، وكانت الأوقاف تدعم المدارس على مختلف مستوياتها وتموّلها في البناء وإيواء الطلبة وتوظيف المعلمين.[٤٨]

ساعد الخوف على الشّخصية الجزائرية العربية المسلمة من الذوبان بسبب الغزو الغربي المسيحي الذي استهدف المجتمع والفكر والثقافة على مزيد انطواء الشعب الجزائري ورفضه العلوم الغربية والتشبّث بالتعليم التقليدي. وقد اضطلعت عائلات بنشر العلم والحفاظ على مؤسّساته التّقليدية المعروفة كالمسجد والزاوية والكتاتيب القرآنية التي كانت غالبا فروعا للمساجد والزوايا. وبقي التعليم تقليديا مقتصرا على علوم الدّين دون العلوم العصرية التي من شأنها أن تساهم في تنشيط الحركة الفكرية وتطوير العلوم وتعصير المجتمع.

أقام أحمد توفيق المدني مقارنة بين نمطين مختلفين من التعليم في الجزائر أثناء فترة الاستعمار وبيّن الفرق الشاسع بينهما. أوّلهما فرنسي " منتشر انتشارا غريبا وهو إجباري على العموم فلست تجد أبدا أية قرية أو دشرة أو مركز صغير من مراكز الاستعمار إلاّ ورأيت به بناية المدرسة الجميلة ووجدت كل أطفال القرية أو المركز يفدون –إجباريا–زرافات ووحدانا على المدرسة"[٤٩]. ويبدو أنّ أحمد توفيق المدني يناصر هذا النوع من التعليم ويشجّع عليه لدرجة أنّه استغرب من عزوف الجزائريين مقارنة بالفرنسيين، يقول " فلست أرى أبدا في الأوساط الفرنسية والأوروبية مَنْ وُلد أُميّ لا يجد في المدرسة مقعده الفسيح"[٥٠].

يرجع عزوف الجزائريين عن هذه المدارس رغم كثرتها وتطوّرها إلى ارتباط التعليم بالمشروع الاستعماري لأن المدرسة الفرنسية لن تقوم إلّا على أنقاض المدرسة العربية التّقليدية التي كانت تُشكّل حاجزا أمام هؤلاء وتحول دون قيام مدرسة استعمارية في الجزائر. هذا ما يفسّر استهداف النظام الاستعماري التعليم العربي في البلاد ومؤسّساته لأن القضاء على المؤسسات التعليمية الدّينية يساهم في تجريد الجزائريين من مقوّمات شخصيتهم وإحلال شخصيّة بمقوّمات غربية بديلة. ومن ثمة فإنه "يتعذّر على الباحث التكلّم على المدرسة الفرنسية دون سياسة أصحابها والعكس صحيح"[٥١].

ثانيهما التعليم التقليدي أو ما وَسَمَه المدني "بتعليم المسلمين" وهو تعليم متأخر ومتعثّر يحتاج إلى العناية والتنظيم مقارنة بالنوع الأوّل لأنه "يسير الهُوَيْنا مشية الأعرج الهرم"[٥٢]. كما أنه اختياري ولا يُلزم كل الأطفال إذ يحرم أغلبهم من التعلّم فـ"ما أسعد من ساقته المقادير يومئذ إلى مكتب قرآني أو مدرسة عربية حديثة أو زاوية يتلَقّى بها علوم آبائه الأوّلين"[٥٣].

يجد الدّارس لتاريخ الحركة الفكرية الجزائرية من آواخر القرن التاسع عشر إلى بداية العشرينات صعوبة في إيجاد وثائق تعكس لنا الحياة الفكرية أو دراسة استوفت تاريخ هذه الفترة رغم كثرة الكتابات حول تاريخ الجزائر. لذا اعتمدنا على رحلة سليمان الجادوي إلى الجزائر سنة ١٩٠٥ التي أوردها في كتابه "الفوائد الجمة في منتخبات مرشد الأمة" ونقلت إلينا وضعها العام وصوّرت لنا ما أحدثه الاستعمار من تغييرات اتّسمت أساسا بالتّراجع والتخلّف على مستوى الفكر والمجتمع والسياسة والاقتصاد.

استحضر الجادوي ماضي الجزائر المجيد وأحالنا على الفترة الزيّانية التي عرفت فيها البلاد توسّعا جغرافيا وازدهارا اقتصاديا وإشعاعا معرفيا، ثم فترة الدّايات التي مكّنت من دخول عديد الصنائع المشرقية والتّركية وساهمت في تشييد القصور وبناء الجوامع، وقارنها بالوضع في الفترة الاستعمارية

وقد عكست هذه المقارنة التراجع الذي عرفته الجزائر اليوم بعد سبع وسبعين سنة من الاحتلال الفرنسي. فتحدّث عن القطاعات التي عانت بسبب هذه السياسة، واعتبر أن التعليم أكثرها معاناة، فقد ساء كثيرا بعد دخول الفرنسيين الأراضي الجزائرية إذ عملوا على نشر الجهل والأميّة وسعوا إلى محو اللّغة العربية التي تُعدّ لغة الحضارة الإسلامية والتي ساهمت فيها الجزائر طيلة خمسة عشر قرنا محاوَلة منها لضرب الهويّة العربية الإسلامية والهويّة الجزائرية، خاصة أن اللّغة العربية قريبة إلى اللسان العامي المعتمد في العديد من الجهات سواء ما يُعرف باللهجات الجزائرية أو ما يُعرف باللّهجات العربية العاميّة أو اللهجات البربرية التي تعايشت معها وتفاعلت[٥٤]. وقد تمكّن الفرنسيون من غلق المدارس وإبدال التعليم العربي بالتعليم الفرنسي خاصة بعد ضمّ الأوقاف إلى أملاك الدولة لتفقد المؤسسات الدينية والتعليمية السند المالي لأنّ الأوقاف كانت تمثّل المصدر الوحيد لتمويلها.

عكس هذا القرار وعي الفرنسيين بقيمة التعليم ودور العلوم في إثراء الحياة الفكرية والخروج من حالة التخلّف إذ اعتبر المستوطنون أن خطورة الجزائري سياسيا ووطنيا تقاس بدرجة تعليمه وتثقيفه لذلك منعوا تعليم اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية، ولم يسمحوا لأي شخص أن يمارس

تعليمها أو يتولى إدارة مدرسة عربية أو كتّاب لتحفيظ القرآن الكريم إلا بترخيص خاص يُمنح في حالات استثنائية كما نصّ على ذلك قانون أكتوبر ١٨٩٤[٥٥].

نتج عن منع التعليم، في بداية القرن العشرين في القطر الجزائري، انتشار الجهل والأمية، وقد عبّر الجادوي عن هذا الوضع بقوله :"أما معاهد العلم فلا يكاد يوجد لها أثر في تلك الربوع الآهلة إلاّ ما هو خاص بالدّخلاء وسواء ذلك شرقها وغربها وجنوبها وشمالها"[٥٦].

حمّل الجادوي الجزائريين واقع الجهل الذي يعيشونه خاصّة أنهم يملكون من الفطنة والكياسة والقدرة ما يؤهلهم لدرء الأمية والرقي بالمجتمع الجزائري. وقد كان حادّا في نقده الوضع التعليمي وحالة الجمود التي عرفها المجتمع بسبب سياسة الاستعمار، يقول: "فأي عار أغزر وشنار أكثر من ركوسهم لشوكة الاستكانة وصبرهم على الضّيم الطويل وفي مقدرتهم إماطة غشاوة الجهل عن أبصارهم ورفع براقع الخمول عن أعينهم ودفع طارق الوبال والزّوال إمّا بمطالبة وُلاّة أمورهم بتشييد المدارس لتعليم أبنائهم وإمّا باستبعاض كيسهم في جدوى ذلك وإمّا بمعاضدة الطرفين كما هو المتعارف عند تكوين المشاريع المفيدة لدى الشعوب الناشدة أسباب السعادة والرقي".[٥٧]

إنّ تخصيص الجادوي أغلب نصوص رحلته للحديث عن التعليم وضرورة الإشراف عليه يعكس وعيه بدوره الفعال في الوصول إلى مراتب متقدّمة في العلوم والأخذ بأسباب الحضارة والتطور، لذا وجدناه يحث الجزائريين على التعلّم ويدعوهم إلى تشييد المدارس وإحيائها لأن في إحياء المدارس إحياء الشعوب ورقي المجتمع ومحافظة على اللغة العربية التي هيمنت عليها اللغة الفرنسية. يقول: "وأنه من العار على الحكومة الجزائرية أن تُصغي لوساوس أعداء العلم وانتشاره وأن لا تعين أهل الولاية على نشر التعليم الابتدائي الحرّ. فتقف في سبيلهم بحاجز المنع والإلغاء حتى أصبحت الجزائر الآهلة بنحو خمس ملايين وطنيين وليس بها مدرسة حرّة من الحدّ إلى الحدّ وراية الجمهورية تقابلك فوق كل واجهة. وهي راية التمدّن والعلم كما يقولون حتى كادت اللّغة العربية أن تكون غريبة في ذلك الفضاء المتّسع العامر وصاحب التاريخ العظيم"[٥٨].

كما نبّه إلى نتائج غلق المدارس الذي يساعد على انتشار الجهل والقضاء على التعليم وانتشار الطرقية والإسلام الشعبي إذ تحوّلت الزوايا التي كانت تضطلع بدور تعليمي وسياسي يتمثل في المقاومة وقيادة المظاهرات إلى زوايا تنشر الشعوذة والجهل ومنابر تدعو إلى التّخاذل والكسل وأصبحت الطبقة العالمة شبيهة بعلماء الديانات في الأمم القديمة أو في النصرانية تعيش من جهل الشعب وتستثمره لتكسب قوتها على مرأى أعيان البلاد ومسمعهم.

لا يعني الاقتصار على التعليم التقليدي غيابا كُليّا للحركة الفكرية الجزائرية لأن الهجرة قد ساهمت بشكل كبير في تبلور الوعي بضرورة النهوض والتطوّر، وقد كانت متوجّهة أساسا إلى

المشرق مصر وسوريا والحجاز وتركيا، لأنها تجاوبت مع دعوة تحرير البلاد العربية من الاستعمار وضرورة الأخذ بأسباب التطور الفكري والعلمي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ودعت إلى تحرير العقل من الأوهام وتخليص الدّين مما ران عليه خلال القرون الأخيرة والرجوع إلى ينابيعه الأولى. حمل لواءهذه الدعوة الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا وهو ما يفسّر استقبال الجماهير الغفيرة له عند زيارته إلى تونس والجزائر.

إضافة إلى هجرة الجزائريين إلى تونس رغبة في التعلّم والأخذ عن شيوخ الزيتونة إذ كان جامع الزيتونة قبلة يُشدّ إليها رحال طالبي العلم. ولعلّ الإرساليات العلمية الإباضية التي كان يترأسها أبو اليقظان وأبو إسحاق والشيخ بيوض في بداية القرن العشرين مثالا يؤكّد ما ذهبنا إليه. وقد تحدّث محمد طاهر الماجري عن الهجرة الفردية إضافة إلى الهجرة الجماعية إلى تونس فأورد هجرة الأستاذ الإبراهيمي سنة ١٩١٢ الذي التحق بأبيه في المدينة المنورة سنة ١٩٠٨ فرارا من ظلم فرنسا، وهجرة الأستاذ عبد الحميد بن باديس إلى تونس ثم إلى الشرق العربي[٥٩].

كما عكس عدد الجرائد التي تحدّث عنها مفدي زكريا وقارب عددها المائة بداية من سنة ١٨٣٠م إلى ١٩٦٠م (المبشر سنة ١٨٤٧م، النصيح سنة ١٨٩٩م، الحقّ الوهراني والأخبار سنة ١٩٠٢م، المغرب سنة ١٩٠٣م، كوكب إفريقيا سنة ١٩٠٧م) بداية تطور الفكر الجزائري وتشكّل الوعي بحالة التأخّر التي عرفتها الأمة وضرورة تغيير الواقع بالتسلّح بالعلم والمعرفة. خاصة أن سياسة فرنسا الجائرة، بعد الحرب الأولى، قد وظّفت بعض رجال الزوايا الطُرقية الذين انحرفوا عن مبادئ الطُرقية الصوفية الصحيحة لخدمة سياستها التهديمية بواسطة إصدار صحف مأجورة مثّلت منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر، إذ ساهم بطريقة غير مباشرة في انطلاق الحركة الإصلاحية الجارفة واتّخاذها شكلا إيجابيا في المقاومة بواسطة الدّعاية في النوادي وإنشاء الصحف العربية التي تبنّت قضايا الجزائر الفكرية والسياسية والاجتماعية، وقد انبثق عن هذا الحراك الفكري السياسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. [٦٠]

أما ليبيا فقد ظلّت خالية من المدارس العامة والتّعليم النظامي حتى سنة ١٨٩٥م ولم تكن ثمّة مدارس أو معاهد نظامية أهلية، وكان نوع التعليم الذي يُقدّم للأطفال هو القراءة والكتابة باللغة العربية وفقا للطريقة التّقليدية العتيقة في الكتاتيب حيث يدرس الأطفال العلوم المتعلّقة بالقرآن، وبقي هذا النوع من التعليم متواصلا حتى بعد دخول الإيطاليين إلى ليبيا[٦١].

يبدو أن ركود الحياة الفكرية الذي عرفته ليبيا في الفترة العثمانية الثانية وأثناء الحكم الإيطالي كان نتيجة تراجع دور الزوايا العلمي واقتصار دورها على تحفيظ القرآن بعد أن كانت مراكز

متقدمة لدراسة علوم الدين واللغة[٦٢]. لكن هذا الرّكود لم يشمل كل نواحي ليبيا لأن منطقة الجبل الغربي –موطن الإباضية– قد عرفت إشعاعا ثقافيا ودينيا، إذ اهتمت الزوايا بالعلوم، وتخرّج عدد كبير من العلماء الذين اقتصرت دراستهم على تلك الزوايا، وكان طلابها يدرسون القرآن الكريم وتفسيره والفقه والحديث والسّيرة واللّغة والتّوحيد والفرائض. كما وُجدت بعض الآثار المخطوطة لمعارف أخرى كالتصوف والتنجيم والتاريخ.

كانت زوايا الجبل تحبس الأحباس ذات العوائد الكبيرة نسبيا وتضمّ حجرات لإقامة الطلاب المهاجرين إليها من أماكن بعيدة وكانت تتمتّع بالإعفاء الكامل من الآداءات العثمانية والضرائب. وقد اشتهرت في منطقة الجبل الغربي تسع زوايا هي: زاوية أبي ماضي، وزاوية العالم، وزاوية طبقة، وزاوية أبي زيان، وزاوية أبي زيان، وزاوية الباروني، وزاوية الفقهاء، وزاوية العميان، وزاوية نسمة، وزاوية السُنّي.[٦٣]

كما أُسست مدارس نظامية ومدرسة الفنون والصنائع في طرابلس، إلى جانب الكتاتيب، وأحدث العثمانيون خليّة من التّعليم النّظامي في البلاد قبل خمس عشرة سنة من الاحتلال الإيطالي. رغم وجود المدارس الرئيسية في طرابلس التي شملت التّعليم الابتدائي والمهني والثانوي إلى جانب مدرسة إعداد مُدرّسي المرحلة الابتدائية، تمّ تأسيس فروع في بنغازي والمدن والقرى الرئيسية في المناطق الساحلية "فقد أنشأت الحكومة بطرابلس وبنغازي ودرنة والخمس بعد سنة ١٨٩٥ مدارس نظامية تقوم بالتعليم وفقا لأحدث النظم العصرية"[٦٤].

زُوّدت المدارس بهيئة تدريس عربية وتركية أُعِدّت إعدادا خاصّا لهذا الغرض وتحت إشراف مفتّش مُعيّن من قِبل وزير التعليم العام في اسطنبول. وبإجلاء كافة الأتراك من ليبيا في ديسمبر ١٩١١م (بينهم مُدرّسون) ومصادرة المباني المدرسيّة واعتمادها مكاتب ومعسكرات، قام الاحتلال الإيطالي بتوجيه ضربة قاضية لنظام التعليم الذي أوجده العثمانيون في تسعينات القرن التاسع عشر.[٦٥]

كما لعبت الصّحافة دورا كبيرا في بعث الحركة الفكرية في ليبيا، فقد ازدهرت الصّحافة خاصة بين ١٩٠٨ و١٩١١م رغم أنّ ظهورها كان سنة ١٨٦٦م بصدور جريدة "طرابلس غرب" ثم "الفنون" و"الترقّي"[٦٦]. في هذه السنوات الثلاث نشطت الأقلام واستيقظت القرائح وحفلت صفحات الجرائد اليومية بعشرات المقالات والقصائد في شتى أنواع الأدب. وكان المشتغِلون بالصحافة علماء وشعراء وسياسيين وأغلبهم من "خريجي الجامع الأزهر في القاهرة أمثال علي عيّاد وأحمد الفساطوي ومحمود نديم بن موسى، ومن خريجي جامع الزيتونة أمثال سليمان الباروني ومحمد

الهاشمي (أبو قشة) ، أو مِنَ الشباب الذين تمتّعوا بقسط وافر من الثّقافة العربية دون أن يلتحقوا بالمعاهد الدّينية أو المدارس الرّسمية بل اقتصرت دراستهم على ما قرأوه من الكتب العربية تحت إشراف بعض أساتذة اللّغة والأدب منهم ناجي التّركي ووصفي الخازمي ومحمد التّركي وعثمان القيذاتي ومحمد علي البارودي ومحمد النائب"[٦٧].

يمكن أن نُرجع انتعاش الحركة الفكرية في تلك السنوات إلى إعلان دستور (١٩٠٨م) الذي أطلق الحرّيات وساهم في تحرّر الفكر وغزارة إنتاجه وشجع الانفتاح على الكتابات التي تصدر بالأقطار العربية خاصة مصر، أما نهايتها (١٩١١م) فقد كانت بداية الغزو الإيطالي الذي سيعمل على طمس الوعي والهويّة وضرب التّعليم والفكر وإلغاء الثقافة المحليّة وإبدالها بأخرى وافدة غربية.

ترك الاستعمار الإيطالي في ليبيا أثارا عميقة في البنية الفكرية والاجتماعية والسياسية، إذ عمل على تفقير البلاد في كل النواحي فتراجع التعليم، وقلّ الانتاج الفكري بسبب انتشار المدارس الإيطالية وغلق المدارس العربية والرّقابة المشدّدة التي سُلّطت على الصحافة.

كما انشغلت النّخبة المثقّفة بالعمل السياسي (قيادة الجمهورية الطرابلسية ومؤتمر غريان والدولة السنوسية) مثلما حصل في تونس والجزائر، إذ قادت هذه الطبقة العمل السياسي ليقترن الفكر بالسياسة. وكان مُمثّلوا هذه الطبقة إما قُتلوا في الحرب مثل "عمر المختار، الفضيل بن عمر، حمد خير الله، رمضان السويحلي، عبد النبي بالخير، علي تنتوش، خليفة بن عسكر، محمد بن عبد الله اليوسيفي، الهادي كعبار وفرحات الزاوي، سعدون السويحلي، أو اضطروا إلى للهجرة مثل "أحمد الشريف إلى تركيا وبعدها إلى الحجاز، سليمان الباروني ذهب إلى تركيا ومنها إلى عمان، شيخ سوف المحمودي، سالم عبد النبي المحمودي، طاهر الزاوي، أحمد المريض، عبد الجليل سيف النصر، وإدريس السنوسي إلى مصر، أحمد سيف النصر وإخوته إلى تشاد، بشير السعداوي وخالد القرقني إلى سوريا ثم أصبحا مستشارين للملك عبد العزيز بن سعود"[٦٨].

ساهمت هذه الظروف في ركود الحركة الفكرية في ليبيا وضعفها إذ لا نجد إنتاجا فكريا أو أدبيا أو علميا يُذكر، ولا مؤسّسات علمية يُشدّ لها الرّحال للاستزادة رغم أنّ الكتابات تشيد بدور جبل نفوسة الكبير في تنشيط الحركة الفكرية. لكنّنا نعتقد أن زوايا جبل نفوسة التي كانت تدرّس القرآن وتلقّن مبادئ المذهب الإباضي هدفت إلى المحافظة على إرثها المذهبي وتمريره إلى الأجيال اللاّحقة أكثر من مساهمتها في إثراء الحركة الفكرية وتنشيطها خاصة أنّ تعليمها كان تقليديا ولم تطعّمه بالمعارف والعلوم الأخرى.

خاتمة:

تميزت الحياة السياسية والفكرية في القرون الثلاثة بالركود في حين أنها نشطت من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين وهو ما نلحظه من خلال كثرة الانتاج الأدبي وتطوّر التّعليم التّقليدي بإدخال علوم العصرية عليه، ودرجة الوعي التي نلمسها في العمل السياسي إذ كان القادة السياسيون هم روّاد الفكر والمعرفة ورجال التّعليم. لكن تتفاوت هذه الحركة وتختلف بين الأقطار الثلاثة التي عرفت ظروفا مشتركة (الاستعمار). فقد كانت الحركة الفكرية في تونس أكثر نشاطا من الجزائر نظرا إلى اهتمام هذا القطر بالتعليم، وكان جامع الزيتونة منارة علمية يَفِد إليها الجزائريون والطرابلسيون إضافة إلى اهتمام السّاسة بالإصلاح وتشجيعهم على الانفتاح على الحضارة الغربية من خلال إرسال البعثات التي تحاول فهم- الغرب واستلهام نظمه السياسية والاقتصادية ومجاراة تطوره العلمي. في حين أن الجزائر التي عانت، قبل جارتَيْها من سياسة الاستعمار، شهد نسق حركتها الفكرية بطئا مقارنة بتونس نتيجة الظروف التي عاشتها وهجرة مفكريها. أماطرابلس التي عرفت تهميشا من السّاسة العثمانيين ثم تعرّضت لأبشع أنواع الاستعمار، فإنّ حركتها الفكرية شبه معدومة خاصة بعد سنة ١٩١١م لأن إيطاليا قامت بالقضاء على كلّ ما من شأنه أن يساهم في الإبداع أو في إنتاج فكر.

الهوامش

[١]- يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين، ط٢، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.ت)، ص ١٣.

[٢]- يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص١٦.

[٣]- حسين مؤنس تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج٢، ج٣، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١٩٩٢، ص٣٤٥.

[٤]- عبد الحميد هنية، تونس العثمانية: بناء الدولة والمجال، تونس: تبر الزمان، ٢٠١٢، ص٣٦.

[٥]- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى (مراكش)، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٩، ص١٢٧.

[٦] - صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر: الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣، ص١٨.

[٧] - يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين، ص١٦.

[٨]- عبد الحميد هنية، تونس العثمانية، ص٩٦-٩٧.

[٩]- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير ، ص ١٠٢.

[١٠]– حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، (تقديم وتحقيق حمادي الساحلي)، تونس: دار الجنوب، ٢٠١٤، ص١١٣.

[١١] – يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين، ص١٦.

[١٢] – أحمد باي الأول (ت ١٨٥٥م).

[١٣] – حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص١٤٠.

[١٤]– شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، ص١٤١.

[١٥]– شوقي عطا الله الجمل، المرجع نفسه، ص ٢٤٣.

[١٦]– عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي: عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي،٢٠٠٥، ج٣، ص٥١.

[١٧]– صلاح العقاد، المرجع نفسه، ص ١٧٣.

[١٨]– صلاح العقاد، المرجع نفسه، ص١٧.

[١٩]– المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[٢٠]– حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص ١٤.

[٢١]– نقولا زيادة، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١–١٩٣٤، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣، ص ٤٢.

[٢٢]– صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ص١٧٦.

[٢٣]– كوّن الامبراطورية الكردينال أرموند جون دي بليسيس ريشيليو (Armand Jean Du Plessis Richelieu) (١٥٨٥–١٦٤٢م) والسياسي كولبير (Jean–Baptiste Colbert) (١٦١٩–١٦٨٣م) في عهد النظام الملكي القديم وتُسمّى في التاريخ الفرنسي بالامبراطورية الأولى. أُنظر: محمد حسنين، الاستعمار الفرنسي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦. ص١١.

[٢٤]– محمد حسنين، المرجع نفسه، ص١١.

[٢٥]– شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، ص ٢٤٣.

[٢٦]– شوقي عطا الله الجمل، المرجع نفسه، ص ٢٤٤.

[٢٧]– عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر (La verité sur L’ expedition d’ Alger) (ترجمة لحسن زغدار)، الجزائر: منشورات ثالة، ٢٠٠٧، ص٤.

[٢٨]– جلال يحيى، المغرب العربي والاستعمار، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، ص٢٠.

[٢٩]– شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، ص ٢٤٤–٢٤٥.

[30]-Daniel Rivet. IE. Maghreb à l’épreuve de la colonisation. Paris. Hachette Littérature.
2003. p.10

[31]-Yvette Katan Bensamoun, Le Maghreb De l’empire Ottoman à la fin de la colonisation française, Paris, Edition-berlin, 2007, P. 48.

[٣٢] – شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، ص ٢٤٥. ولمزيد التوسع أُنظر:

Daniel Rivet. Ie Maghreb à l'épreuve de la colonisation. Cit op. Chapitre3 : L'Algerie De 1830 à 1870 Le Temps Des Incertitudes. 2002, p. p 101-133.

[33]-Abderrahmane Bouchene. Histoire De L'Algerie à la période colonial (1830-1962). Postface de Gilbert Meynier et Tahar Khalfoune. Paris et Alger. Editions La Decouverte et Editions Barzakh. 2012. p: 25.

[٣٤] – عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، ص ١٩٤.

[٣٥]– علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تونس: سيراس للنشر، ٢٠٠٦، ص ٢٦.

[٣٦]– عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب الكبير، ج٣، ص ٨٣.

[٣٧]– سياسةالإخضاع (La politique D' assujettissement) وقد بين بيير لومبيي (Pierre Lampue) في دراسته لنماذج السياسة الاستعمارية أن أساس هذه السياسة اقتصادي يقوم على احتكار خيرات المستعمرة. استبدلت هذه السياسة بسياسة الإدماج (Assimilation) التي تمثّل امتداد إقليم ما وراء البحار للدولة المستعمرة أو الدولة الأم. أُنظر:

-Louis Rolland et Pierre Lampue. Précis de Droit des pays d'outre-mer (Territoire-Départements – Etats associes). Paris. Librairie Dalloz. 1952.P 50

-Guy Pervillé, Pour une Histoire de la guerre d'Algerie1830-1930. Paris, Picard, p 36.

[٣٨]– محمد الفاضل بن عاشور، الحياة الأدبية والفكرية في تونس (في القرنين ١٣-١٤/١٩-٢٠)، تونس: بيت الحكمة، ٢٠٠٩، ص٢٤.

[٣٩]– محمد الفاضل بن عاشور، الحياة الأدبية والفكرية في تونس، ص٢.

[٤٠]– محمد الفاضل بن عاشور، المرجع نفسه، ص٣٣.

[٤١]– المرجع نفسه. الصفحة نفسها، ٣٤.

[٤٢]– محمد الفاضل بن عاشور، الحياة الأدبية والفكرية في تونس، مرجع سبق ذكره، ص٣٦.

[٤٣]– محمد الفاضل بن عاشور، المرجع نفسه، ص٤٠.

[٤٤]– المرجع نفسه، ص٤٣.

[٤٥] – حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص ١٤٥.

[٤٦] – عبد الرزاق الحمامي، الفكر الإسلامي في تونس (١٩٥٦-١٩٨٧)، تونس: مركز النشر الجامعي/كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ٢٠٠٥، ص١٠.

[٤٧]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢. ص١٥٩.

[٤٨]– أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص١٥٩-١٦٠.

[٤٩]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر: دار المعارف، ١٩٦٣، ص ٢٧٣.

[٥٠]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص ٢٧٣.

[٥١]– عمار هلال، أبحاث ودراسات في دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (١٨٣٠-١٩٦٢)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٥، ص١٠٤.

[٥٢]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص ٢٧٤.

[٥٣]– أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص ٢٧٣.

[٥٤]– سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٠. ص ٧.

[٥٥] – سعيدوني ناصر الدين، المرجع نفسه، ص ٧٢.

[٥٦] – سليمان الجادوي، منتخبات مرشد الأمة، ص ٨٨.

[٥٧] – سليمان الجادوي، المرجع نفسه، ص ٦٨٩.

[٥٨] – سليمان الجادوي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[٥٩]– محمد طاهر الماجري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، الجزائر: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨، ص١٠٩.

[٦٠]– مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، ص ٧٩.

[٦١]– فرانشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، (تعريب وتقديم محمد خليفة التليسي)، تونس: الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٣، ص٩٩.

[٦٢]– عبد الحميد عبد الله الهراسة، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، بيروت: أصالة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص٢٣

[٦٣]– عبد الحميد عبد الله الهراسة، المرجع نفسه، صص٢٦–٢٧.

[٦٤]– فرانشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ص١٠٠.

[٦٥]– ليونارد ابلتون، سياسة التعليم الإيطالية إزاء العرب الليبيين ١٩١١–١٩٢٢، (ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي)، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٩٩. ص٣٣.

[٦٦]– علي مصطفى المصراتي، صحافة ليبيا في نصف قرن: عرض ودراسة تحليلية لتطور الفن الصحفي في ليبيا، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠٠٠، ص١٥.

[٦٧]– محمد صلاح الدين بن موسى، الصحافة الأدبية في ليبيا، مرجع سبق ذكره، صص ١٤٧–١٤٨. أُنظر علي مصطفى المصراتي، صحافة ليبيا في نصف قرن، ص٣١.

[٦٨]– علي عبد اللطيف حميدة، المرجع نفسه، ص ١٧.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1–ابلتون، ليونارد، سياسة التعليم الإيطالية إزاء العرب الليبيين ١٩١١–١٩٢٢، (ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي)، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٩٩.

2– الجادوي، سليمان، الفوائد الجمة في منتخبات مرشد الجمة، تونس، المطبعة التونسية، ٢٠٢٥.

3– الجمل، شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى (مراكش)، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٩.

4- سعد الله، أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢.
5- عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، (تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، تونس: دار الجنوب، ٢٠١٤.
6- كورو، فرانشسكو ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، (تعريب وتقديم محمد خليفة التليسي)، تونس: الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٣.

المراجع باللغة العربية:

1- بوعزيز، يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين، ط٢، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ٢٠٠٤.
2- حسنين، محمد، الاستعمار الفرنسي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦.
3- الحمامي، عبد الرزاق، الفكر الإسلامي في تونس (١٩٥٦-١٩٨٧) ، تونس: مركز النشر الجامعي/كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ٢٠٠٥.
4- حميدة، علي عبد اللطيف، المجتمع والدولة والاستعمار في الدولة، دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار ١٨٣٠-١٩٣٢، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨.
5- زكريا، مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، (جمع وتحقيق أحمد حمدي) ، الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء، ٢٠٠٣.
6-زيادة، نقولا زيادة، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣.
7- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٠.
8- الطمار، محمد، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٠.
9- ابن عاشور، محمد الفاضل بن عاشور، الحياة الأدبية والفكرية في تونس (في القرنين ١٣-١٤/١٩-٢٠)، تونس: بيت الحكمة، ٢٠٠٩.
10- العقاد، صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر: الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣.
11- غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي: عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي،٢٠٠٥.
12- الكعاك، عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٥.
13- الماجري، محمد طاهر ، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، الجزائر: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨.
14- المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، الجزائر: دار المعارف، ١٩٦٣.
15- المصراتي، علي مصطفى ، صحافة ليبيا في نصف قرن: عرض ودراسة تحليلية لتطور الفن الصحفي في ليبيا، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠٠٠.
16- مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج٢، ج٣، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١٩٩٢.

17- ابن موسى، محمد صلاح الدين، الصحافة الأدبية في ليبيا ١٨٦٩-الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م، طرابلس: مركز جهاد اللّيبيين للدراسات التاريخية، ١٩٩٨.
18- الهراسة، عبد الحميد عبد الله، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، بيروت: أصالة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
19- هلال، عمار، أبحاث ودراسات في دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (١٨٣٠-١٩٦٢) ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٥.
20- هنية، عبد الحميد، تونس العثمانية: بناء الدولة والمجال، تونس: تبر الزمان، ٢٠١٢.

المراجع باللغة الأجنبية:

1.– Bensamoun Yvette Katan, Le Maghreb De l'empire Ottoman à la fin de la colonisation française, Paris, Edition-berlin, 2007.

2.Rivet Daniel. IE. Maghreb à l'épreuve de la colonisation. Paris. Hachette Littérature. 2003.

3.Rolland Louis et Pierre Lampue. Précis de Droit des pays d'outre-mer (Territoire-Départements – Etats associes). Paris. Librairie Dalloz. 1952.

4.Pervillé Guy, Pour une Histoire de la guerre d'Algerie1830-1930. Paris.

List of Sources and Reference

Sources

1.Appleton, Leonard. Italian Educational Policy Toward the Libyan Arabs, 1911–1922. Translated by Abdulqader Mustafa Al-Muhayshi. Tripoli: Center for the Study of the Jihad of Libyans for Historical Studies, 1999.

2.Al-Jadawi, Suleiman. Al-Fawa'id al-Jamma fi Muntakhabat Murshid al-Ummah. Tunis: Tunisian Press, 2025.

3.Al-Jamal, Shawqi Ata Allah. The Greater Maghreb from the Islamic Conquest to the Present Time: Libya, Tunisia, Algeria, and Morocco. Egypt: Anglo-Egyptian Library, 2009.

4.Saadallah, Abu al-Qasim. Lectures on the History of Modern Algeria: The Beginning of the Occupation. Algeria: National Publishing and Distribution Company, 1982.

5.Abdelwahab, Hassan Hosni. A Summary of the History of Tunisia. Edited and introduced by Hammadi Al-Sahili. Tunis: Dar Al-Janoub, 2014.

6.Corò, Francesco. Libya during the Second Ottoman Era. Arabic translation and introduction by Muhammad Khalifa Al-Tleisi. Tunis: Arab Book House, 2003.

References

5.- Bensamoun Yvette Katan, Le Maghreb De l'empire Ottoman à la fin de la colonisation française, Paris, Edition-berlin, 2007.

6.Bouaziz, Yahya. The Algerian Revolutions in the Nineteenth and Twentieth Centuries. 2nd ed. Algeria: National Museum of the Mujahid Publications, 2004.

7.Hassanein, Muhammad. French Colonialism. Algeria: National Book Foundation, 1986.

8.Al-Hammami, Abdelrazek. Islamic Thought in Tunisia (1956–1987). Tunis: University Publishing Center, Faculty of Arts, Humanities and Arts in Manouba, 2005.

9.Hmida, Ali Abdel Latif. Society, State and Colonialism in Libya: A Study of the Social, Economic and Cultural Origins of Collaborationist and Anti-Colonial Movements and Policies (1830–1932). Lebanon: Center for Arab Unity Studies, 1998.

10.Zakaria, Mufdi. History of the Arab Press in Algeria. Collected and edited by Ahmed Hamdi. Algeria: Mufdi Zakaria Foundation, 2003.

11.Ziadeh, Nicola. Tunisia under the Protectorate (1881–1934). Institute of Higher Arab Studies, 1963.

12.Saadouni, Nasser al-Din. Algeria: Starting Points and Prospects – Approaches to Algerian Reality through Historical Issues and Concepts. 1st ed. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 2000.

13.Al-Tammar, Muhammad. History of Algerian Literature. Algeria: National Publishing and Distribution Company, 1970.

14.Ibn Ashour, Muhammad al-Fadil. Literary and Intellectual Life in Tunisia (13th–14th / 19th–20th Centuries). Tunis: Bayt al-Hikma, 2009.

15.Al-Aqqad, Salah. The Maghreb in Modern and Contemporary History: Algeria, Tunisia, and Morocco. Egypt: Anglo-Egyptian Library, 1993.

16.Ghallab, Abdelkarim. A New Reading in the History of the Maghreb: The Imperial Era and the Turkish Period in Tunisia and Algeria. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 2005.

17.Al-Kaak, Othman. A Brief General History of Algeria from the Stone Age to the French Occupation. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 2005.

18.Al-Majri, Muhammad Taher. Aspects of Intellectual and Literary Life in Algeria. Algeria: Institute of Arab Research and Studies, 1968.

19.Al-Madani, Ahmed Tawfiq. The Book of Algeria. Algeria: Dar al-Ma'arif, 1963.

20.Al-Misrati, Ali Mustafa. Libyan Journalism in Half a Century: An Analytical Study of the Development of Journalism in Libya. Libya: Jamahiriya House for Publishing, Distribution and Information, 2000.

21.Mounis, Hussein. History of the Maghreb and Its Civilization from before the Islamic Conquest to the French Invasion. Vol. 2, Part 3. Beirut: Al-Asr Al-Hadith for Publishing and Distribution, 1992.

22.Ibn Musa, Muhammad Salah al-Din. Literary Journalism in Libya (1869 – 1 September 1969). Tripoli: Center for the Study of the Jihad of Libyans for Historical Studies, 1998.

23.Al-Harasa, Abdelhamid Abdullah. Chapters from the Cultural History of Libya. Beirut: Asala Publishing and Distribution, 1999.

24.Hilal, Ammar. Research and Studies in the Contemporary History of Algeria (1830–1962). Algeria: University Publications Office, 1995.

25.Haniya, Abdelhamid. Ottoman Tunisia: The Construction of the State and Space. Tunis: Tabar al-Zaman, 2012.

26.Rivet Daniel. IE. Maghreb à l'épreuve de la colonisation. Paris. Hachette Littérature. 2003.

27.Rolland Louis et Pierre Lampue. Précis de Droit des pays d'outre-mer (Territoire-Départements – Etats associes). Paris. Librairie Dalloz. 1952.

28.Pervillé Guy, Pour une Histoire de la guerre d'Algerie1830-1930. Paris.